المشرق

اشرف النبوّات المريمية

بقلم القس بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب

توطئة

ان افخر نبوّة جاءت في العهد القديم عن امّ المسيح العذراء مريم عليها السلام هي آية اشعيا حيث يقول (٧ : ١٤) : « ان العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمهُ عمانوئيل ». وكون هذه العذراء هي مريم ام المسيح قد اوضحهُ الانجيلي متى بصريح العبارة في انجيله حيث قال (١ : ٢٢) : « هذا كلهُ كان ليتم ما قيل من الرب بالنبي القائل : هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمهُ عمّانوئيل »

الّا انَّ اليهود والبرهانيين لم يكونوا ليدّعوا بلا اعتراض هذه النبوّة النفيسة التي تثبت حقيقة الديانة المسيحيّة بقدر ما تشرّف المسيح وامّهُ فقالوا ان الانجيلي متى قد وهم في اطلاقه نبوة اشعيا هذه على امّ المسيح : (اولًا) لأنَّ الكلام ليس عن عذراء اذ ان لفظة ٦٥٦٥ (عَلَمَه) التي استعملها اشعيا لا يلزم فهمها عن عذراء . و (ثانياً) لانهُ وان تُرجمت لفظة « علمه » بالعذراء لا تنطبق مع ذلك على امّ المسيح . والدليل أنَّ النبي بعد الملك آحاز بعلامة تكفل لهُ بالخلاص من تهديد ملك سورية وملك افرائيم وهذه العلامة هي ان امرأة تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه عمانوئيل فلا بدّ اذًا من ان تحدث هذه العلامة امّا حالًا او اقلّه في وقت قريب ليكون كلام النبي صادقاً ويطمئنَّ آحاز . والحال ان حَبَل مريم بالمسيح وولادتها اياه لم يحدثا الّا بعد ٧٥٠ سنة . اذن ليس من شأنهِ ان يسكّن روع آحاز الذي تكون حينئذٍ قد بليت عظامه وبالتّالي ليس الكلام عن مريم امّ المسيح

قبل الجواب على هذا الاعتراض لا نرى بُدًّا من تعريف الظروف التي جاءت فيها هذه النبوة. يخبرنا الكتاب المقدَّس في المكان عينهِ ان راصين ملك آرام وفقحيا ملك اسرائيل صعدا الى اورشليم لمحاربتها فلمَّا وصل الخبر الى آحاز ملك يهوذا واهل بيتهِ وشعبهِ رجف قلبهُ واضطربت قلوب امتهِ كما يهتزُّ شجر الغاب امام الريح. فبأمرهِ تعالى جاء اشعيا النبي ليسكّن جأش آحاز متنبئًا لهُ بعدم نجاح ذينك الملكين. ولمَّا لم يقنع آحاز أوعز النبي الى الملك الغير المؤمن ان يطلب آيةً تكون لهُ بثابة عربون على ان الله يريد بالحقيقة ان يخلصهُ من ايدي اعدائه. فامتنع احاز من ذلك بحجة انهُ لا يريد ان يجرّب الرب. فما كان من النبي الَّا انهُ التفت الى آل داود وهم اعيان بيت الملك فقرَّعهم على قلَّة ايمانهم الى ان اكَّد لهم ان الرب نفسهُ رغمًا عن امتناع الملك وقلة ثقتهم يعطيهم هذه الآية وهي ان « العَلَمه » تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمهُ عمانوئيل. سمنًا وعسلًا يأكل الى ان يرفض الشرّ ويختار الخير لانهُ قبلما يعرف الصبي ان يرفض الشرّ ويختار الخير تخلو الارض التي انت تخاف من ملكيها. فنحن نقول ان لفظة « عَلَمه » في هذه الآية هي كناية عن العذراء التي صارت امًّا للمسيح من دون ان يمسّ ذلك بتوليتها ونثبت قولنا بستَّة براهين ثمَّ نعود الى القسم الثاني من الاعتراض فنردّ عليهِ.

١ اثبات دلالة آية اشعيا على العذراء مريم

(البرهان الاوَّل) يؤخذ من اشتقاق الكلمة (עלמה عَلَمه) التي تُطلق على البنت غير المزوَّجة ولا تقال ابدًا عن المتزوجة في اللغة العبرانيَّة فيكون اذًا كلام النبي عن عذراء. وعليك ان تعتبر ان لفظة علمه في النص العبراني لهذه الآية محلَّاة بأل التعريف اذًا الكلام عن عذراء معهودة مشهورة مختارة من الله لتكون امًّا لعمانوئيل فهي العذراء على سبيل الغلبة والتخصيص العذراء الفريدة بين جميع العذارى. وعلمه هي مؤنث « عَلَم » الذي معناه صبي وفي سفر صموئيل الاول (١٧ : ٥٦) : تُطلق على الصبي داود عند ما خرج لمحاربة الفلسطينيين. وفيهِ ايضًا (٢٠ : ٢٢) تطلق على خادم يوناثان الذي تارةً يدعى عَلَمْ وأُخرى نَعَرْ وبهذا المعنى ايضًا تُستعمل في اللغات القريبة الى العبرانية. ففي اللغة الفونيقية التي قيل انهـا فرع من العبرانية معنى لفظة « علمه » هو عذراء بلا مراء. وفي العربية لفظة غلام تطلق على الصبي منذ طفوليته بل منذ ولادتهِ حتى الشبوبية ومن ذلك نُقلت الى معنى آخر فأُطلقت على الخادم ايضًا كما انهُ في جميع اللغات لها

معنى الخضوع لان الصبي يكون في صغره محجورًا خاضعًا لأبويه حتى يصل الى عمر الزواج فيستقل . وكذا القول في اللغة الكلدانية كما يظهر من نص الترجوم على فصل اشعيا هذا فانهُ لم يكتفِ بان يدعو ام عمانوئيل حلمه بل دعا الصبي ايضًا حلمه. وقس على ذلك اللغة السريانية . وفي جميع هذه اللغات لا تطلق لفظة « علمه » على الصبي المزوج ولا على البنت المزوجة بل على البنت البكر

(البرهان الثاني) من استعمال الكتاب المقدس — . وهب انَّ اصل الكلمة واشتقاقها لا يدلان على البتول العذراء الَّا ان الكتاب المقدس يعيّن معناها بنوع قطعيّ فان الاستعمال كثيرًا ما يعطي للكلمة معاني بعيدة عن اصلها والحال اننا نرى في الكتاب المقدس لفظة « علمه » تطلق على الدوام على بنت شابة عذراء . فانها وردت ستّ مرّات في الكتاب المقدس: مرّتين في سفر التكوين (٢٤ : ١٦ , ٤٣) وفي المرتين الكلام على رفقة البنت التي خطبها اليعازر لاسحق ابن سيده ابراهيم ولا شك ان هذه كانت عذراء بلا لوم . ثم في سفر الخروج (٢ : ٨) حيث الكلام على اخت موسى التي كانت عذراء ثم في المزمور ٦٧ (ع٢٦) حيث الكلام على بنات كنَّ يضربن بالدف بقرب تابوت العهد ولا شك ان البنات المستخدمات في الاحتفال الديني كنَّ عذارى . ثم في نشيد الانشاد (١ : ٢) حيث الكلام عن البنات العاشقات العريس السرّي اللواتي من الضرورة ان يكنَّ عذارى نقيّات مستأهلات محبة العريس الالهي ثم في السفر عينه (٦ : ٧—٨) حيث يُجعل تمييز بين الملكات والسرّيات والبنات . اما الملكات والسريات فلا جرم انهنَّ مقيَّدات بالزيجة واما البنات فبعكسهنَّ كما هو واضح . ثم في سفر الامثال (٣٠ : ١٩) حيث الكلام عن فتاة عذراء او اقله محسوبة كذلك فان ملخص المثل المذكور هو هذا : « انهُ لامر صعب ان يُعرف طريق النسر في السماء وطريق الحيَّة اذا مشت على الصخرة وطريق السفينة في البحر حيث لا تترك اثرًا لمرورها وطريق الرجل مع الفتاة » يريد الفتاة التي يأتيها الرجل بحيث لا يُعرف بعد هل بقيت عذراء ام خسرت بتوليتها لان المرأة الفاسقة نفسها اذا فوجئت في فعلها الذميم تخفي ذنبها فكم بالحري الفتاة

غير ان اليهود يرفضون هذا الشرح زاعمين ان لفظة « علمه » هنا لا تُطلق على العذراء لكن على بنت مقترعة او على امرأة زانية ولكن من لا يرى ان ذلك مردود

بنص الآية نفسه فانّ قوله التالي: « وطريق المرأة الفاسقة » ينبئ بمقابلة ومن المحال ان يُقابَل الشيء بنفسه فلا بد اذًا من القول ان لفظة « علمة » هنا ايضًا هي لمعنى العذراء كما عرّبها الآباء اليسوعيون في ترجمتهم وبالتالي ان هذه اللفظة لا يستعملها الكتاب المقدس الّا لمعنى البنت البكر. وبكل حقّ قدر هيرونيموس ان يقول في تفسيره هذه الآية ما نصُّهُ: بقدر ما اذكر لا اظنُّني رأيتُ قطعًا لفظة « علمه » لمعنى المرأة المزوجة بل دائمًا لمعنى البكر اللهمّ اذا كانت في سنّ الشبوبية فان البكر يمكنها ان تكون ايضًا طاعنة في السنّ امّا البكر التي نحن في صددها اي علمه فهي فتاة خرجت الى سنّ الشبوبية بحيث اضحت في عمر قابل الزواج (انتهى)

فترى ان النبي قد اختار لفظة تُعتبر غايةً في الدلالة على العذراء الفتيّة لان لفظة نَعَرَه (נערה) تُطلق ايضًا على البنت ولكن نادرًا على المزوجة كما في سفر راعوث (٢ : ٥ و ٤ : ١٢) وطورًا على غير المزوجة كما في سفر الملوك الاول (٢ : ٢) وفي سفر استير (٢ : ٢٢) وكذلك لفظة بَتُولَه (בתולה) تطلق ايضًا على العذراء الّا انهُ ليس فيها معنى الصبى فقد تُستعمل ايضًا لعذراء طاعنة في السن

(البرهان الثالث) من سياق الكلام — ان المتن العبراني الاصلي لهذه الآية يقول: هوذا العلمه حامل ووالدة ابنًا. فهذا النصّ لا يحتمل الّا هذا المعنى: اي هوذا العذراء بما انّها عذراء ومع كونها عذراء ومع بقائها عذراء هي في الوقت عينه حامل ووالدة ابنًا. فهذا هو معنى الآية الطبيعي. كأن النبي يبصر امام عينيه ويشير بيده وهو يقول: « انظروا هذه هي العلامة هذه هي الاعجوبة اعني عذراء حاملًا ووالدة ابنًا. فان النصّ الاصلي لا يستعمل افعالًا لكن اسماء الفاعل « حامل ووالدة ». فلو قال: هوذا العذراء تحبل وتلد لأمكن ان يُفهم بان التي هي الآن عذراء ستحبل يومًا وتلد وبذلك تزول بتوليتها ولكن استعمالهُ اسم الفاعل يضطرنا ان نفهم بان العذراء تحبل وتلد وهي مستمرّة عذراء اعني في المعنى المجتمع لا في المعنى المفترق. وفي الكتاب المقدس تُطلق اسماء الفاعل هذه على نساء حاملات في الحاضر (طالع التكوين ١٦ : ١١ و ٣٨ : ٢٤) وسفر القضاة (١٣ : ٥ — ٧)

ثم كل يرى ان الرب في هذه الآية يريد ان يعطي بيت داود علامةً اعني اعجوبةً من ابهر العجائب ويدلنا على ذلك كونهُ تعالى خيّر آحاز في ان يطلبها من عمق الارض

او من اعلى السماء اعني من كلّ ما تشتمل عليهِ الطبيعة فلمّا رفض آحاز ان يطلبها عزم الرب ان يعطيها هو بنفسه فلا بدَّ اذن ان تكون موازنةٌ بين قدرتهِ تعالى وكلامه هذا المحتفل العلنان. فاين تكون الاعجوبة اذا قلنا ان عذراء تحبل وتلد كعادة سائر النساء اعني بفقدها بتوليتها. انّما الاعجوبة في اتحاد البتولية مع الحبل والولادة. قال فم الذهب: ان لم تبقَ عذراء فليست هذه اعجوبة اذ لا بدّ ان تفوق الآية النظام الاعتيادي وتعلو على الترتيب الطبيعي وتكون امرًا جديدًا غير منتظر بحيث يتعجّب منهُ كل من يراه فلو كان الكلام عن امرأة تلد بمقتضى شريعة الطبيعة فما بالهُ يدعو اعجوبة ما نراهُ كل يوم يحدث اعتياديًا « انتهى ». والنتيجة ان الكلام لا يصحّ الّا عن عذراء حامل ووالدة ابنًا وهي مستمرّة عذراء.

(البرهان الرابع) من كون ابن هذه « العلمه » هو عمانوئيل — ان ملخّص برهاننا هو: ان الابن الذي تلده هذه « العلمه » هو عمانوئيل. والحال ان عمانوئيل هو المسيح والمسيح في الكتاب المقدّس يُذكر لهُ امّ ولا يُذكر لهُ اب الّا الله. اذن « العَلَمه » امّ عمانوئيل هي عذراء. وغنًى عن الولادة. وبالحقيقة اذا فحصنا من هو عمانوئيل هذا في قصد النبي اشعيا نرى انهُ هو عين ذاك الذي يذكرهُ في الفصلين الثامن (ع ١٠) والتاسع (ع ٦) حيث ينزلهُ منزلة ملك بلاد يهوذا وأنهُ من اجلهِ يخلص هذا الملك من هجمات الاثوريّين وأنهُ يأتي من ذرّيّة داود القريبة للاندثار ويكون ممتلئًا من روح الله ويسوس شعبه بالعدل وفي ايّامهِ يملك السلام التامّ ويفنى الشرّ من جبل صهيون والشعوب الوثنيّة ترجع الى الله اجراقًا اجراقًا ويأتين ويعترجن مع اليهود لكي يخضعوا لملك السلام هذا. فبموجب اقرار الربّانيين انفسهم هذه المناقب هي خاصّة بالمسيح الموعود بهِ وحدهُ فلا شكّ اذًا ان عمانوئيل في قصد اشعيا النبي هو المسيح

والحال ان المسيح في الكتاب المقدّس لا يُعرف لهُ اب بشري وانّما ابوهُ هو الله كما يظهر من المزمور ١٠٩ (ع٣) والنبي ميخا (٥ : ٢—٣) الذي يجعل خروجه من القديم منذ ايّام الازل ويذكر امّه اذ يقول: لذلك يسلّمهم الى الزمان الذي فيهِ الوالدة تلد. لكنّهُ لا يذكر اباه. وإرميا (٣١ : ٢٢) يعلن ولادته العجيبة من امرأة قائلًا: الرب خلق امرًا جديدًا في الارض انثى ستحيط برجل. ولا يذكر شيئًا عن ابيهِ. وكل ذلك خلاف عادة الكتاب المقدّس الذي يذكر الاب مع الامّ او الاب دون الامّ. اذن « العلمه » امّ

عمانوئيل ستلده من دون مشاركة رجل وتبقى عذراء في نفس الولادة. فلا عجب ان يقول النبي بانها هي وحدها بمعزل عن الاب ستضع الاسم لمولودها وتدعو اسمه عمانوئيل

(البرهان الخامس) من تقليد اليهود — ان ايراد متّى الانجيلي آية اشعيا هذه تعرفنا ان اليهود في الجيل الاول للمسيح كانوا يفهمون بلفظة « علمه » البنت البكر فلو لم يعرفوا فيها نبوة على الحبل بالمسيح العجيب لما قنعوا منهُ بان مريم ولدت المسيح وهي عذراء — ثمَّ ان ترجوم يوناثان بن عوزييل يشرح لفظة « علمه » بلفظة اخرى تعادلها معنًى وهي حجسحدا اي عذراء. والترجمة السريانية للعهد القديم التي على راي بعض المنتقدين عملها بعض من اليهود بنحو جيل واحد قبل المسيح تستعمل في هذه الآية لفظة حجسحدا اي عذراء عوض « علمه » العبرانية. والترجمة السبعينية ايضاً التي ترجمها علماء اليهود بنحو ثلاثة قرون قبل المسيح تشرح لفظة « علمه » بلفظة παρθένος اي عذراء.

نعم ان اليهود اكويلا وسوماخوس وثيودوسيون بعد المسيح فسّروا « عَلَمه » في ترجماتهم اليونانية بلفظة παρθένος اي صبيّة لا بلفظة νεᾶνις اي عذراء خلاف ما ذهبت اليه الترجمة السبعينيّة ولكن يمكننا ان نقول مع الآباء انهم في ذلك لم يخلوا من تعرّض وانما قصدوا ان يضعفوا قوّة البرهان الذي يوردهُ المسيحيون ضدّهم في هذا الصدد. ولا حاجة ان نقول بان اليهود يتبعون اليوم ترجمة هؤلاء الثلاثة المستحدثين لكنهم بذلك يناقضون تقاليدهم القديمة

(البرهان السادس) من تقليد المسيحيين — ان آباء الكنيسة متّفقون برأي واحد على تفسير لفظة « علمه » بالعذراء امّ المسيح وليس ذلك استنادًا على الجيل متى فقط بل على الترجمة السبعينية التي كانوا يستعملونها دائمًا لما قدروا ان يجادلوا اليهود ويخجلوهم. ومما وُجد في احد الديامس الرومانية صورةٌ تثبت هذا التقليد عند المسيحيين فترى في حجرة من مقبرة بريسقلا التي يرتقي تاريخها على قول العلماء الى عهد الرسل صورة مريم العذراء عليها السلام جالسةً وبحضنها الطفل يسوع وبجانبها شخص واقف بيده الواحدة كتاب ملفوف وباليد الاخرى يشير الى نجم فوق رأس العذراء والطفل فالشخص المذكور في رأي الخبيرين بفنّ العاديات المسيحية هو النبي اشعيا فتكون هذه الصورة في النصف الاول من الجيل الثاني او قبل ذلك العهد تفسيرًا للآية التي نحن بصددها

ولو اردنا ان نورد شواهد الاباء في ذلك لضاق بنا المكان فنقتصر على ايراد بعضها من الآباء الاقدمين. قال يوستينوس في احتجاجه الاول عن النصارى: « اسمعوا كيف يتنبأ اشعيا بصريح الكلام عن ان المسيح مزمع ان يولد من عذراء قال: هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً » الخ. وقال ترتليانوس في كتابه ضد اليهود (وهو يردّ على اعتراضهم بانّ الطبيعة لا تحتمل ان العذراء تلد) ما نصهُ: « مع ذلك يجب علينا ان نصدّق هذه القضيّة استنادًا الى كلام النبي فانهُ في هذا الامر غير المصدَّق قد سبق واعدّ الايمان قائلًا انهُ سيكون اعجوبة فلو لم يكن امرًا مخالفًا للمألوف لما اضحى اعجوبةً ». وعلى هذا النسق تكلم اوريجانيس وابيفانيوس وغيرهما. وقال مار افرام في شرحه هذه الآية ما ترجمتهُ: هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعى اسمهُ عمانوئيل: ان هذا ممّا يناقض الطبيعة لانهـا كيف تحبل ما دامت بتولًا وان حبلت فكيف تكون بتولًا ايصحّ هذا ومن يصدّقهُ. لكن النبيّ اردف انّ الرب نفسهُ يعطيكم آيةً. ومن حيث ان معطيها هو الله فلا تسأل عن الكيفية لانهُ ليس عند الله امر عسير »

٢ تفنيد آراء المخالفين

وقولنا السابق يظهر بنوع اجلى من تفنيد آراء المخالفين. كل رأي مخالف لرأينا في شرح هذه الآية لا يوافق مقتضى الحال ويظهر بطلانهُ كالشمس في رابعة النهار

ان بعضًا من اليهود القدماء فهموا بلفظة « علمه » امرأة آحاز الملك وبعمانوئيل حزقيا بن آحاز غير ان الاباء قد فنّدوا هذا الراي. قال هيرونيموس: ان هذا القول لا يصح لان آحاز بن يوثام ملكَ على يهوذا واورشليم ست عشرة سنة وخلفهُ ابنهُ حزقيا وكان عمرهُ حينئذٍ خمسًا وعشرين سنة اذن في السنة الاولى لملك آحاز كان لحزقيا من العمر تسع سنين. فكيف يكون هو عمانوئيل الموعودة ولادتهُ في مدّة مُلك آحاز ان كان قد وُلد قبل ان يملك ابوهُ بتسع سنين. وهكذا يسقط هذا الرأي السخيف

كذلك من المحال ان تكون « العلمه » امرأة النبي اشعيا ولو اراد ذلك لكان دعاها اشعيا نبيّةً لا « علمه » ولكان تكلّم عن حبل اعتيادي كما يصنع في الفصل الثامن (ع ٢—٣) حيث يقول: « فدنوتُ من النبيّة فحبلت وولدت ابناً فقال لي الرب ادعُ اسمهُ عجّل الغنيمة وأسرع النهب ». ومن الجهة الاخرى امرأة اشعيا ام شآريشوب

(٧ : ٣) لا يمكن ان تدعى علمه . وباطلاً يفترض البعض ان اشعيا اخذ امرأةً اخرى ودعاها « علمه » لانهُ على رأيهم لم يكن بعد قد دنا منها وهذا اختراع لا اصل لهُ

ثمَّ لا يمكن ان يكون عمانوئيل ابن اشعيا اذ لا يصحّ فيهِ ما يقال عن عمانوئيل في الفصل الثامن (ع ٨) حيث تجعل ارض يهوذا مُلك عمانوئيل . ولا ما يقال في العدد ١٠ حيث ورد ان جميع الشعوب تُخذَل من اجل عمانوئيل . غير ان البعض من الكاثوليك ذهبوا الى ان علمه هي امرأة اشعيا بالمعنى الحرفي لكنَّها رُمز عن العذراء ام المسيح . ولكن هذا التفسير الذي تفوَّه بهِ البعض منذ زمان هيرونيموس هو باطل من اجل الاسباب السابقة فضلاً عن انهُ لا يوجد نسبة بين الرمز والمرموز وكيف الحبل والولادة الاعتيادية يكونان رمزًا مشخَّصاً حبلاً وولادةً بتوليَّة . قال البعض ان كلام اشعيا لا يخصّ امرأةً او ابنة لكن قصدهُ ان يعني بان زمان الخلاص هو غايةٌ في القرب حتى اذا حبلت الآن بنتٌ من البنات تقدر اذا ما حان زمن ولادتها ان تدعو اسم ابنها عمانوئيل من اجل معونة الله الحاضرة . ولكن هذا ايضاً باطل لان النبيّ لا يتكلَّم باقتراض او بشرط بل بالايجاب والتأكيد وقصدهُ هو ان يُعيّن شخصاً حقيقيًّا لا وهميًّا فكأنهُ يراهُ بعيونهِ ويشير اليهِ بيدهِ كما يستبين من قولهِ « هوذا » . ولا يمكن ان تكون « علمه » رمزًا عن اورشليم او عن صهيون او عن بيت داود كما ذهب البعض لان هذا كلهُ لا يتطبق مع الفصلين الثامن (ع ١٠) والتاسع (ع ٦) بل يُراد بها شخص حي عربون الحماية والخلاص ليهوذا وملكهِ وقتما تقرَّرت هذه الاية وفي المستقبل ستكون ام عمانوئيل

نأتي الان الى القسم الثاني من الاعتراض فنقول : ان الإنباء بامر مستقبل من نبي معلوم مؤيَّد من الله كما كان اشعيا لهُ موقع عظيم عند الذين يكونون قبلاً قد اختبروا صدقهُ وعلى الخصوص اذا كانت النبوَّة عن المسيح فهي الاجدر بان تنعش الثقة والطمانينة في قلوب آل يهوذا لاسيما بيت داود . فالعلاقة التي نحن في صددها وان كانت مستقبلة الَّا انها تعلن واضحاً عنايتهُ تعالى في شعبهِ فكأن النبي يقول : كما انهُ هو امر اكيد ومحتوم عند الله بان يرسل المسيح مولودًا من بيت داود فكذلك انهُ لامرٌ مقرَّر لا ريب فيهِ انهُ تعالى يريد ان يخلص هذا البيت من هؤلاء الاعداء . فان كان الله قادرًا ان يجعل المسيح ان يولد من عذراء باعجوبة كهذه فبأولى حجَّة هو قادر ان يخلص يهوذا من هذا الخطر واذا اقتضى لذلك عجائب فهو مستعدّ ان يعملها كيف لا وهو

قادر ان يصنع اعجوبة اعظم اعني ولادة المسيح من عذراء من دون زرع رجل

وليس هذا غريباً عن استعمال الكتاب المقدس فاننا نقرأ فيهِ انهُ تعالى لكي يؤيد مواعيدهُ في الزمان الحاضر ويزيدها تأكيداً قد اعطى مراراً عديدة علامات لا تحدث الّا في المستقبل. من ذلك ما جاء في سفر الخروج (٣: ١٢) حيث يقول لموسى: «اني اكون معك وهذه تكون لك علامة اني انا ارسلتك. اذا اخرجتَ الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل». وفي سفر صموئيل (٢: ٣٤) حيث يقول لعالي الكاهن: «وهذه آية لك تأتي على ابنيك حفني وفنحاس في يوم واحد يموتان كلاهما». وقال صموئيل لشاول (١٠: ١): «وهذه علامة لك ان الله مسحك رئيساً اذا ما انطلقت اليوم من عندي فانك تجد رجلين». وفي سفر الملوك الرابع (١٩: ٢٩): «هكذا يقول الرب بفم اشعيا الى حزقيا الملك عن سنحاريب: وهذه هي علامة لك تأكلون هذه السنة زريعاً وفي السنة الثانية خلفةً وفي السنة الثالثة فازرعوا واحصدوا واغرسوا الكروم وكلوا ثمارها». فمن يقول ان هذه العلامات ليس لها قوة في الحاضر لانها تكمل في المستقبل. فان المريض يتقوّى رجاؤهُ ويثق بالعافية اذا سمع الطبيب يقول لهُ: انَّ يقيني بشفائك التامّ من مرضك هو عظيمٌ بهذا المقدار حتى اني بعد ثلاثة اسابيع اريد ان اخرج معك الى التنزّه

وان قيل انَّ آحاز لم يفهم معنى اشعيا عندما قرّر هذه الآية امامهُ فعلينا ان نلاحظ بان كلام النبي ليس موجّهاً الى آحاز وحدهُ لكن الى بيت داود كلّهِ وهذه العلامة من شأنها ان توطد رجاء بيت داود بما انها عن المسيح وتؤكد لهم قرب الانتصار على اعدائهم. وهي في الوقت عينهِ تشير الى ما سيصير اليهِ مالك يهوذا وبيت داود في ايّام المسيح المزمع ان يولد من هذه العائلة فيقول انَّ عمانوئيل سيعيش فقيراً في ارض اسرائيل خارجاً عن وطنهِ ارض يهوذا لانهُ قبل ميلادهِ ومباشرتهِ بعمل الفضائل يكون الخراب استولى على تلك الارض وباد ذلك الملك بحيث تكون عيشتهُ كعيشة الرعاة الفقراء المتعودين اكل السمن والعسل البرّي. فالى هذه الدرجة من الفقر ستصير عائلة داود الشريفة عندما يأتي زمان عمّانوئيل

ولكن يقول قائل ان المسيح لم يُدعَ قط باسم عمانوئيل. نجيب: من عادة الكتاب المقدس عندما يقول عن شخص انهُ يدعى بهذا او بذاك الاسم ليس المعنى دائماً ان ذاك

الشخص يسمى حقيقةً بذاك الاسم بل يكون او يظهر منهُ ما يعنيهِ ذاك الاسم. فهكذا اشعيا (٩: ٧) يقول عن الصبي الذي وُلد لنا: يدعى اسمهُ عجيباً مشيرًا إلهًا قادرًا ابا الابدية فهل يمكن ان تكون هذه كلها اسماء صبي واحد لا لعمري بل انما المعنى انهُ يكون كذلك اي عجيبًا مشيرًا. وفي لوقا قال الملاك لمريم عن اليشباع (١: ٣٦): « هذا هو الشهر السادس لتلك التي تدعى عاقرًا ». ومن المعلوم ان اليشباع لم يكن اسمها عاقرًا بل كانت عاقرًا. وهكذا ارميا (٢٣: ٥—٦): « ها ايام تأتي يقول الرب واقيم لداود فرعَ برٍّ فيملك ملك... في ايامهِ يخلص يهوذا ويسكن اسرائيل مطمئنًا وهذا هو اسمهُ الذي به يدعونهُ الرب برّنا ». والحال ان اسرائيل لم يدعَ قط « الرب برّنا ». وفيهِ (٤٦: ١٧): « ادعوا فرعون ملك مصر: الميقات جلب الهلاك ». وامثال ذلك كثيرة في الاسفار المقدسة فهذا كلهُ يثبت ان الاسم في الكتب الالهية كثيرًا ما يشير الى ما سوف يفعل الشخص المسمّى بهِ او الى ما سوف يظهر منهُ

فعلى هذا النسق يدعى المسيح عمانوئيل ليس فقط لانهُ يأتينا بمعونة الله او لانهُ يمدنا بهذه المعونة في شخصهِ كأنهُ عربون لها بل لانهُ هو حقًّا الله معنا اذ يشير الى سرّ التجسد بنوع لا مثيل لهُ اعني الى اتحاد اللاهوت بالطبيعة البشريّة في المسيح. فمعنى «عمانوئيل» انَّ الله اتخذ الطبيعة البشريّة اي انَّهُ صار انسانًا وخلاصة القول انَّ الكلمة صار جسدًا وحلَّ فينا اذ ان صورة الله وصورة العبد اتحدتا في ابن واحد واقنوم واحد. قال يعقوب السروجي في ميمر لهُ على الكنيسة ما ترجمتهُ: « ان لفظة عمانوئيل تعطيني معنيين اي انهُ إله وانسان حقًّا. فقوله «عمّان» (خبم) يدل على الطبيعة التي متّا وقولهُ (إيل) يوضح عن اللاهوت الذي فيهِ بلا انقسام. فعمانوئيل هي عبارة عن إله انسان لا كأنهُ ممتزج لكن بما انهُ كامل بالجهتين »

واذا كان الامر كذلك فبكل صواب قد اورد الانجيلي متى هذه الآية مقرّرًا انها كملت في يسوع الناصري وامهِ العذراء مريم